

المحفيد

[قصيدة نشر]

هل أنا حقاً..

حفيد أولئك المزارعة العظام ؟
 إننى لا أستطيع أن أحمل حجرا على كتفى
 ولما أتحمّل أن يعتدى جارى
 على سنابل القمح فى حقلى..
 كما أننى أترك النيل يجرى
 دون أن أقوم بتخليصه من المتناسيح المتوحشة
 أو بتطهيره من الأعشاب الضارة..
 كيف إذن أكون حفيد أولئك المزارعة العظام ،
 وأحمل كما يقال جيناتهم ،
 التى تحتوى على الكثير
 من عناصر الحيوية ، والإرادة ، والنظام ؟

ذات يوم..

ذهبت فى زيارة لأهرامات الجيزة
 وقد هالنى بالفعل ارتفاعها
 وكما أحسست بالضآلة تحتها!
 فهى صروح معمارية هائلة ،
 ومع ذلك فإنها غاية فى الدقة ، والابتقان.
 من هم المهندسون الذين خططوها ؟
 والمبناؤون الذين شيّدوها ؟
 والموظفون الذين تابَعوا سير العمل بها ؟
 والمحكام الذين موّلوا مراحل بنائها ؟
 وحين تأملت دهشة السياح الأجانب حولها
 شعرت بالفخر ، كما أحسست بالألم
 وتساءلت فى سرى :
 هل أنا حقاً..

حفيد هؤلاء المزارعة العظام ؟

وحين زرت معابد الأقصر ، ووادي الملوك
تعجبت كثيرا من ذلك الذي اختار الموقع ؟
وكيف أقام تلك الأعمدة الفخمة ؟
وحفر مقبرة حتشبسوت في قلب الجبل ؟
ومدّ طريق المكباش بين صفين من التماثيل ؟
وزين الجدران الحجرية
برسوم مازالت ألوانها زاهية حتى اليوم ؟
ثم المأهم ..
من الذي نسق بين ذلك كله ،
وبين حركة الكواكب في السماء ،
فجعل ضوء الشمس
يتعامد في لحظة محددة
على كرسى العرش ؟
وقبل أن أغادر المكان
رحت أطرح السؤال على نفسي :
هل أنا حقا ..
حفيد هؤلاء المزارعة العظام ؟

وعندما كانت باخرة العودة تعبر النيل
كنت كباقي الركاب ، أستمتع بخضرة الحقول
على جانبي هـ ،
لكنني كنت أتوقف طويلا
أمام إحدى السواقي التي تديرها بقرة ..
وبعض النخلات المباشقة
التي تحمل في أعلاها كمية من التمر الأخضر
الذي لم ينضج بعد ..
وأحد الصيادين العجائز ،
يجلس في زورقه المتهالك
دون أن يصطاد سمكة واحدة ..
وامرأة ريفية ، تحمل فوق رأسها
كومة كبيرة جدا من البرسيم ..
وفى البعيد .. بعض البيوت المتناثرة
المبنية من الطوب — اللبن ..
وأمامها يتجول كلب أسود ،
يتردد نباحه في الأنحاء ..
وعدت أسأل نفسي :
هل أنا حقا ..
حفيد أولئك المزارعة العظام ؟